قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

التنوع النطقي للأصوات غير المستحسنة في العربيّة

The phonetic diversity of non-recommended sounds in Arabic

م.د. هبة فائق فاضل/ كلية الإمام الأعظم قسم أصول الدِّين ديالى*

Keywords
phonetic variation, disfavored sounds, Arabic phonological system

Abstract

This research addresses the phenomenon of phonetic variation of non-recommended sounds in Arabic, referring to sounds that some Arab linguists considered undesirable in standard usage, either because of their rarity in the speech of the Arabs or because they deviate from what is typical in the Arabic phonological system. The study aims to identify these sounds, explain their articulatory characteristics, and clarify the reasons that led linguists to regard them as disfavored, while also tracing the different ways they may be realized in speech and the variation that may occur among speakers. The study adopts a descriptive–analytical approach by examining references to these sounds in traditional linguistic sources and comparing them with findings from modern phonetic studies to determine their position within the structure of the Arabic sound system. It also attempts to interpret patterns of variation in their pronunciation considering phonetic, dialectal, and usage-based factors. The research concludes that these sounds represent one aspect of phonetic diversity in Arabic and that describing them as disfavored is often related to linguistic norms and patterns of usage rather than to limitations in their articulatory possibility.

.* Corresponding author: Dr. Heba Faiq Fadel/Imam Al-Adham university College- Diyala

م.د. هبة فائق فاضل / مجلة البحوث والدراسات الاسلامية، العدد ٨٣، (السنة ٢٠٢٦)، ص: ١٣٤٥ – ١٣٥٧

hiba.faiq@imamaladham.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال: ٢٠٢٦/١/٢٢
المراجعة: ٢٠٢٦/١/٢٧
القبول: ٢٠٢٦/٢/١٠

الكلمات المفتاحية:
التنوع النطقي، الأصوات غير المستحسنة، النظام الصوتي العربيّ

ملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة التنوع النطقي للأصوات غير المستحسنة في العربية، وهي الأصوات التي أشار بعض علماء العربية إلى قلة استحسانها في الاستعمال الفصيح، إِمَّا لندرتها وإِمَّا لخروجها عن المألوف في النظام الصوتي للعربية. ويهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة هذه الأصوات وخصائصها النطقية، وبيان أسباب الحكم عليها بعدم الاستحسان في التراث اللغوي، مع تتبع صور نطقها وما يطرأ عليها من تنوع بين المتكلمين. ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذه الظاهرة، من خلال تحليل ما ورد عنها في المصادر اللغوية، وموازنة ذلك بما تقرره الدراسات الصوتية الحديثة، للكشف عن موقع هذه الأصوات في بنية النظام الصوتي العربي. كذلك يحاول تفسير مظاهر التنوع في نطقها في ضوء عوامل صوتية ولهجية واستعمالية. ويخلص البحث إلى أَنَّ هذه الأصوات تمثل جانبًا من التنوع الصوتي في العربية، وأَنَّ الحكم عليها بغير المستحسنة يرتبط غالبًا بطبيعة الاستعمال والمعيار اللغوي أكثر من ارتباطه بإمكانها النطقي.

١. المقدمة

حظي الدّرس الصوتي بكثيرٍ من العنايةِ منذُ القدم، ولم تكن مقتصرة على جانبيه الفيزياوي أو العضوي فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى الجانب المعياري، الذي كان أساسهُ أمرين، الأوّل: الفصاحة، والثّاني: الاستحسان، ومن أبرز ما ظهرَ في هذا السياق ما عُرِفَ بـ(الأصوات غير المستحسنة)، وهي تلك الأصوات التي لم تحظَ بالقبول في الذوق العربيّ العام. ومن هنا جاءت أهمية هذهِ الدّراسة، التي تسعى إلى تتبع التنوعات النطقية لهذهِ الأصوات، وذلك بالكشف عن أسباب ظهورها، وموقف القدماء والمحدثين منها، وهو جهد يبرز التمازج بين البُعد النظري والتطبيقي في علم الصوت. وقد اقتضت منهجية البحث أنْ تكون هذهِ الأصوات مقسمة على فقرات تناولتها واحدة تلو الأخرى، مثل: الصاد التي كالسين، والباء التي كالفاء، والضاد الضعيفة، مسبوقة بمقدمة ومتلوة بخاتمة، تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ونسأل الله تعالى أنْ يكون هذا العمل خالصًا لوجههِ الكريم، والحمدُ لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

٢.مهاد نظري:

كان سيبويه من الأوائل الذين أشاروا إلى الأصوات غير المستحسنة؛ فقد قسمها على قسمين: أصل وفرع؛ فقال في الأصل: "فأصل حروف العربيّة تسعة وعشرون حرفًا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والباء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والطاء، والزاي، والتاء، والذال، والفاء، والباء، والميم، والواو" (سيبويه، ١٩٩٨م: ٤٣١/٤).والفروع عندهُ على قسمين، القسم الأوّل: مستحسن في قراءة القُرآن والأشعار؛ إذ قال: "وتكون خمسة وثلاثين حرفًا بحروف هنَّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القُرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التضخيم، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصَّلاة، والزَّكاة، والحياة" (سيبويه، ١٩٩٨م: ٤٣٢/٤). والقسم الثاني من الفروع غير المستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القُرآن، ولا في الشعر، وهي: "الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء" (سيبويه، ١٩٩٨م: ٤٣٢/٤). وتبعهُ في هذا التقسيم ابن جنّيّ؛ إذ قال: "واعلم أنَّ هذهِ الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف

تتفرع عنها؛ حتّى تكون خمسة وثلاثين حرفًا، وهذهِ الستة حسنة يؤخذ بها في القُرآن وفصيح الكلام، وهي: النون الخفيفة ويُقال الخفية، والهمزة المخفية، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي" (ابن جنّيّ، ٢٠٠٠م: ٥٩/١).

وذكر أيضًا الأصوات غير المستحسنة؛ إذ قال: "وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف، وهي فروع غير مستحسنة، ولا يؤخذ بها في القُرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إِلَّا في لغة ضعيفة مرذولة، غير متقبلة، وهي: الكاف التي بين الجيم، والكاف والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم...، ولا يصح أمر هذهِ الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين، حتّى كملتها ثلاثة وأربعين، إِلَّا بالسمع والمشافهة" (ابن جنّيّ، ٢٠٠٠م: ٥٩/١). أَمَّا ابن عصفور فقد ذكرها كذلك؛ إذ قال: "وقد تبلغ الحروف خمسة وثلاثين حرفًا بفروع حسنة تلحقها، ويؤخذ بها في القُرآن وفصيح الكلام، وهي: النون الخفيفة، والهي النون الساكنة إذا كان بعدها حرف من الحروف التي تخفى معه، والهمزة المحققة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، مثل: أجدق في أسدق، والصاد التي كالزاي، في نحو مصدر" (ابن عصفور، ١٩٩٦م: ٤٢٢). وذكر كذلك غير المستحسنة؛ إذ قال: "وقد تبلغ ثلاثة وأربعين حرفًا بفروع غير مستحسنة، ولا مأخوذ بها لا في القُرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إِلَّا في لغة ضعيفة مرذولة" (ابن عصفور، ١٩٩٦م: ٤٢٢). مِمَّا تقدّم يمكننا أَنْ نقول: إِنَّ القدماء قد تنبهوا على تقسيم الأصوات بهذا الشكل، ووضعوا الأسباب التي يعتقدون أَنَّها كانت كافية لجعلها غير مستحسنة وغير مستحبة من الناطقين بالعربية الفصحى، ويبدو أَنَّ هذهِ الأصوات كانت بسبب تنوع نطقها آنذاك؛ لذا يركز البحث على هذهِ التنوعات، متوخيًا علّة رفضها أو استهجانها.

٣.الحقيقة النطقية للأصوات غير المستحسنة:

تنتمي الأصوات غير المستحسنة لبيئات متعددة، وإِنَّ نطقها لا يمكن تداركه إِلَّا عن طريق المشافهة، وجدير بالذكر أَنَّ علماء اللّغة القدماء لم يضعوا لها رسمًا يبعر عنها؛ لأَنَّها أصوات مختلطة بغيرها، ولا تظهر هوية الصوت بشكل واضح؛ لأَنَّهُ أَخذ من الصوت المجاور لَهُ؛ لذلك تأوَّلَ القدماء والمحدثون نطق هذهِ الأصوات، واجتهدوا في تحديد هوية الصوت، على الرغم من أَنَّ بعضها اُستبعدت عن معيار الفصاحة. ويمكن للباحثة أَنْ تتحدث عنها على النحو الآتي:

١. الصاد التي كالسين:

وقد عدَّها سيبويه من الأصوات غير المستحسنة في العربيّة، والتي لا تتبين إِلَّا بالمشافهة (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٢/٤)، وذكر

لها مثالا ابن جنّيّ؛ إذ قال: "وقد يبدل بعضهم الصاد سيناً؛ فيقولون: السدفة، بدل الصدفة، وهذا عند من لا يحسن إخراج السين من مخرجها" (ابن جنّيّ، د.ت: ١٠٩/٢)، كذلك ابن يعيش وضع لها مثلًا؛ إذ قال: "الصاد التي كالسين قولهم: صبغ – سبغ، وليس في حسن إبدال الصاد من السين؛ لأَنَّ الصاد أَصغر في الفم" (ابن يعيش، ٢٠٠١م: ١٢٨/١)، ووصفها أيضًا ابن عصفور ووضع لها مثلًا ؛ إذ قال: "نحو سائر في صائر قربت منها؛ لأَنَّ الصاد والسين من مخرج واحد" (ابن عصفور، ١٩٩٦م: ٤٢٣).

ولو لاحظنا الصفات التي يتمتع بها كُلّ من الصوتين؛ لوجدنا أَنَّهما صوتان لثويان ومهموسان، والمخرج واحد، وهو من أطراف اللسان وفويق الثنايا (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٣/٤؛ بشر، ١٩٩٨م: ١٢٠)، إِلَّا أَنَّ الفارق الوحيد بينهما الاستعلاء والاستفال، أو التفخيم والترقيق، وعندما يحدث إبدال بينهما؛ فقدت الصّفة الخاصة بكُلّ صوت منتج عن ذلك ولادة صوت جديد بين السين والصاد، ويلاحظ أَنَّ التقارب بين السين والصاد قد كان سببًا في اختلاط بيعها ببعض، بَيدَ أَنَّ هذا الاختلاط يُعَدُّ اختلاطًا مذمومًا؛ لأَنَّنا نرى بعض النَّاس تخطأ فتقرأ (الصراط) بالسين وليس بالصاد، ورُبَّما نطقت بعض القبائل (مصطبة) و(مستبة)، و(صلاة) و(سلاة)، و(صائر) و(سائر)، وإِنَّ هذا الاختلاط بين الصاد والسين أضاع السمة التمييزية بين الصوتين؛ فمن المعلوم أَنَّ الصاد صوت مستفل مفخم، والسين صوت مرقق مستفل (عُمر، ٢٠٠٦م: ٥٥)؛ أي يستفل اللسان معهُ عند النطق به، وإِنَّ هذهِ العملية العضوية من شأَنها أَنْ تكون علامة فارقة بين الصوتين المتشابهين؛ إذ لا بُدّ من ملامح تمييزية بين بعض الأصوات؛ لتمييزها من غيرها، وقد تكون هذهِ الملامح وظيفية من شأَنها أَنْ تغير المعنى، كما في (صائر) و(سائر)؛ لأَنَّ اللفظين من مادتين أو أصلين مختلفين (عُمر، ٢٠٠٦م: ٥٥). وقد ذكرهما ابن فارس في مادتين مختلفين؛ إذ يقول: "الصاد والياء والراء أصلٌ صحيحٌ، وهو المآل والمرجع، من ذلك صار يصير صيرًا وصيرورة، ويُقال: أنا على صيرِ أمرٍ؛ أي إشراف من قضائهِ، وذلك هو الذي يصار إليه" (ابن فارس، ١٩٧٢م: ٣٢٥/٣)، وقال أيضًا: "السين والياء والراء أصلٌ يدلّ على مضي وجريان؛ يُقال: سار ليسير سيرًا، وذلك يكون ليلًا أو نهارًا، والسيرة: الطريقة في الشيء والسنة؛ لأَنَّها تسير وتجري" (ابن فارس، ١٩٧٢م: ١٢٠/٣-١٢١). وقد لا يترتب على هذا الاختلاط اختلاف في المعنى، عندما يكون التنوع النطقي أشبه ما يكون باللثغة، أو العيب النطقي، كما في: (مصطبة ومستبة)، وقد يكون التنوع بين الصاد والسين في بعض السياقات لا يترتب عليه اختلاف في المعنى، بيد أَنَّهُ يُعَدُّ فضاءً

إقرائيًا، كما هو الحال عند قُرّاء القُرآن، كما شبّه ذلك الشّيخ عبدالوهاب القرطبي فيما سمّاه اللحن الخفي (القرطبي، ٢٠٠٩م: ١/١٣٩)، وقد فطن سيبويه إِلى هذا الأمر كما كان سببًا في استبعاده عن معيار الحسن؛ فجعلهُ من الأصوات المسترذلة التي لا تحسن في النصوص الإبداعية، مثل: القُرآن والشعر؛ لأَنَّهُ رُبَّما سيؤدي في سياقات معينة إِلى اختلاف المعنى، أو قد يؤدي إِلى لثغة أو عيب نطقي؛ فما كان سببًا في رفضهِ أو استهجانهِ لمخالفتهِ الذائقة النطقية للّغة، وكان هذا سبب في استبعادهِ.

٢. الباء التي كالفاء:

ذكر سيبويه أَنَّها من الأصوات غير المستحسنة في العربيّة (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤/٤٣٢)؛ فالباء صوت شفوي انفجاري مجهور يخرج من بين الشفتين، أَمَّا الفاء فهي صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤/٤٣٥؛ الحمد، ٢٠٠٥م: ١١٥). وقد تابع عددٌ من العلماء سيبويه في الحديث عن هذا الصوت؛ فقد ذكر السيرافي: "والباء التي كالفاء هي كثيرة في لغة الفرس وغيرهم من العجم، وهي على فظين، أحدهما: لفظ الباء أَغلب من الفاء، والآخر لفظ الفاء أَغلب عليهِ من الباء" (سيبويه، ١٩٨٨م: ٥/٣٩٠). فالسيرافي قد فَرَّقَ بين نوعين من الصوت، الفاء التي كالباء، والباء التي كالفاء، وذلك عن طريق النطق الأقرب لأحدهما في كُلّ حين. وذكر ابن يعيش مثالًا لهذا الصوت؛ إذ قال: "قولهم في بورفور، وهي كثيرة في لغة الفرس، وكان الذين تكلموا بهذهِ الحروف المسترذلة قوم من العرب خالطوا العجم؛ فتكلموا بلغتهم؛ فاعرفه" (ابن يعيش، ٢٠٠١م: ١/١٢٨). وتحدث عنها الدكتور تمام حَسّان قائلًا: "لقد فهمت من كلام سيبويه في هذا الصوت أَنَّ الباء التي يعنيها هي ما يسمونهُ الباء الفارسية، وهي باء مهموسة مثل صوت في اللّغة الأجنبية، والمعروف أَنَّ العرب كانوا يعربون هذهِ الباء بقلبها فاء، ثمَّ أصبحت كلمة (برزده) عند تعريبها (فرزدق)، وكلمة (بالوزة) أصبحت (فالوذج)" (عمر، ٢٠٠٦م: ٥٦). وفسَّر الدكتور إبراهيم أنيس هذهِ الظاهرة بقوله: "إِنَّ الفاء جهر بها أوّلًا؛ فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوروبية، والذي يرمز لَهُ بالرمز v، ومثل هذا الصوت؛ إذ ذهبت رخاوته بانحباس الهواء؛ ليصبح انفجاريًا شبه الباء كُلّ الشبه" (أنيس، ١٩٦١م: ٨٧). يتضح مِمَّا تقدّم أَنْ هناك نطقين لهذا الصوت، نطق غلب فيهِ الباء على الفاء ونطق آخر غلب فيهِ الفاء على الباء، والجدير بالذكر أَنَّ سيبويه ذلك الباء التي كالفاء، ولم يذكر الفاء التي كالباء؛ فالباء كما أوضحنا صوت انفجاري شديد مجهور والباء صوت احتكاكي مهموس؛ فالباء لسبب عامل من العوامل كالمجاورة الصوتية أو غيرها فقط عِدَّة صفات، من أهمها: الجهر، كما نلاحظ أَنَّ الباء يتمتع بصفة أُخرى، وهي القلقلة؛ فالباء عند نطقها

يحدث حبس وضغط يتحصل من جرَّائها صوت القلقلة، فضلًا عن التردد السمعي لهذا الصوت، هذهِ القضايا كُلّها غير موجودة في الباء المجهورة؛ فعندما فقدت هذهِ الصفات مالت إلى النطق بصوت آخر يشبه الباء المهموسة، وبفعل هذا الهمس؛ أصبحت قريبة من صوت مجاور وهو الفاء، ولما كانت صفات الأصوات عبارة عن تنوعات تميز كُلّ مجموعة من غيرها، وتلون الكلام؛ كان لزامًا أَنْ تميز الأصوات فيما بينهما في المخرج والصفة، وقد اعتادت الذائقة اللّغوية عند العربيّ عن هذا الفصل بين الأصوات كُلّ بحسب مخرجهِ وصفتهِ، وجعلوا هذا معيارًا في النصوص الإبداعية؛ فكان من الطبيعي رفض الصوت المختلط بغيرهِ، الذي فقد صفة مهمة من صفاتهِ؛ فصوت القلقلة فيهِ نغمة تترد في السمع تزيد من جمالية السياق الصوتي أينما يرد؛ فعندما تفقد الباء قلقلتها لم يستحسنها الذوق العربيّ، وعدّها صوتًا مسترذلًا مختلطًا بغيرهِ.

٣. الضاد الضعيفة

عَدَّها سيبويه أيضًا من الأصوات غير المستحسنة، ولا تتبين إِلَّا بالمشافهة؛ فقد قال: "وهذهِ الحروف تتمتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إِلَّا بالمشافهة، إِلَّا أَنَّ الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإِنْ شئت تكلّفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف؛ لأَنَّها من حافة اللسان مطبقة؛ لأَنَّك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالتهِ عن موضعهِ؛ وإِنَّما جازَ هذا فيها؛ لأَنَّك تحولها من اليسار إِلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف؛ لأَنَّها من حافة اللسان، وأَنَّها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل؛ حيث تخلط حروف اللسان؛ فسهل تحويلها إِلى الأيسر، مثل ما كانت في الأيمن، ثمَّ تنسل من الأيسر حتّى تتصل بحروف اللسان كما كانت في الأيمن" (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤/٤٣٢). وقد بيّنَ السيرافي عبارة سيبويه: "والضاد الضعيفة من لغة قوم ليس في أصل حروفهم ضاد؛ فإذا احتاجوا إِلى التكلّم بها من العربيّة؛ اعتاصت فربما اخرجوا ظاء؛ وذلك أَنَّهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ورُبَّما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد؛ فلم تتأتَ لهم فخرجت بين الضاد والظاء" (ابن يعيش، ٢٠٠١م: ١٠/١٢٧–١٢٨). وقد ذكر هذا الصوت ابن عصفور أيضًا؛ إذ قال: "والضاد الضعيفة: يقولون في أثرد لَهُ أضرد لَهُ، يقربون الثاء من الضاد؛ وكأنَّ ذلكَ في لغة قوم ليسَ في أصل حروفهم الضاد؛ فإذا تكلنوها ضعف بها نطقهم لذلك" (ابن عصفور، ١٩٧٢م: ٤/٦٦٦). وتحدث عنها المحدثون منهم الدكتور تمام حَسّان بقولهِ: "ومن هنا وجدنا بعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء مثلوا بحرف مفخم مجهور حدث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم، والجهر الضعيفة، فتصير الثاء بذلك ضاءًا ضعيفة، وتدخل لها ابن

عصور بكلمة أثر، والتي تصير أضرد، ومع ملاحظة ما سبق من نطق صوت الضاد" (عُمر، ٢٠٠٦م: ٥٥). ويرى الدكتور كمال بشر أنَّ ما يسمع في بعض اللهجات العربيّة، ولا سيَّما في لهجات العراق والكويت من نطق يقع بين الضاد والظاء، قد يكون امتدادًا صوتيًا للضاد القديمة، أو نتيجة لتطورها التأريخي، ويرى أنَّ هذا النطق اللهجي يمكن تفسيرهُ في ضوء التراث اللّغوي العربيّ الذي يقرر أنَّ الضاد في أصلها كانت صوتًا احتكاكيًا جانبيًا، لا يقابلهُ صوت آخر في العربيّة من حيث موضع النطق، ومع زوال صفة الإطباق عنها، لم يبقَ في النظام العربيّ ما يؤزيها أو يحل محلها؛ الأمر الذي يفسر اختلاف مظاهر نطقها في الاستعمال اللهجي المعاصر" (بشر، ١٩٩٨م: ١٣٦–١٣٧). ويلاحظ من كلام القدماء أنَّ الاستهجان بسبب عدم وضوح الصوت واختلاطه ببعض الأصوات المجاورة، وجدير بالذكر أنَّ هذا النطق لا يمكن أنْ يدرك إلَّا بالمشافهة والسماع، وإنَّ كُلّ ما يقل في تأويلهِ رُبَّما هو محاولة لوصف هذا التنوع النطقي. والغريب في الأمر أنَّ العربيّة قد تحتوي على أصوات كثيرة لا عدد لها تزيد على ما عيَّنهُ سيبويه في الأصول والفروع، وإنَّ هذهِ التنوعات النطقية للأصوات لم تخص بالدراسة؛ لصعوبتها واختلاطها بغيرها؛ لذلك شكى القدماء والمحدثين من صعوبة إدراك صوت الضاد الفصيحة التي تعددت الأنماط النطقية لها؛ فمرة وصفت بأنَّها قريبة من الثاء، وأخرى قريبة من الظاء، وأخرى من الراء، وأخرى من الطاء، مع التنبيه على أنَّ هذهِ الصور النطقية أنماط مسموعة دوّنها النحويون واللّغويون، سمعت في زمنهم، ورُبَّما كان لها أثر في وجود لهجاتنا المحلية التي نسمعها اليوم في كُلّ زمان ومكان.

٤. الكاف التي كالجيم

ذكرها سيبويه مع الأصوات التي لا تستحسن في قراءة القُرآن الكريم ولا في الشعر، والتي قصد بها (الكافي التي بين الجيم والكاف)؛ إذ قال: "حروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القُرآن ولا في الشعر، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف..." (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٢/٤). وأوضح ابن دريد أنَّها لغة سائرة في اليمن؛ إذ قال: "وهي لغة سائرة في اليمن، مثل: جمل؛ إذ اضطروا وقالوا: كمل، بين الجيم والكاف" (ابن دريد، ١٩٨٧م: ٤٢/١). وقد بيّنَ السيرافي كلام سيبويه قائلًا: "وقد أخبرنا أبو بكر بن دريد أنَّها لغة في اليمن يقولون في جمل كمل في عوام أهل بغداد يقولون بعضهم كمل وركل في جمل ورجل، وهي عند أهل المعرفة منهم معيبة مرذولة، والجيم التي كالكاف هي كذلك، وهما جميعًا شيء واحد، إلَّا أنَّ أصل أحدهما الجيم والأصل الآخر الكاف، ثمَّ يقلبونهُ إلى هذا الحرف الذي بينهما" (السيرافي، ٢٠٠٨م: ٣٨٩/٥). وقد تناول الدكتور أحمد مختار عمر

هذا الصوت وفسَّرَ القول والتحليل فيه، وبين صفات كُلّ من الجيم والكاف؛ فالجيم هو ذلك الصوت الشديد الانفجاري عند القدماء وعند المحدثين هو المقابل المجهور لصوت الكاف؛ أي إنَّ الصوتين متشابهان في جميع الصفات تقريبًا، ما عدا الجهر والهمس؛ فالجيم مجهور، والكاف مهموس (عُمر، ٢٠٠٤م: ٣٣٤-٣٣٥). ويمكن الحديث عن هذا الصوت من جانب آخر؛ فالجيم من الأصوات المركبة في العربيّة؛ فهو بالأصل مكون من صوتي الدال والشين، وبسبب تدخل قانون الأصوات الحنكية الذي حولهُ من صوت مفرد شبيه بالكاف في المخرج وأكثر الصفات باستثناء صفة الجهر إلى هذا الصوت المركب، كذلك هذا القانون يطبق على صوت الكاف؛ لكن الفرق بينهما أنَّ هذا الصوت الناتج من تطبيق قانون الأصوات الحنكية أنَّهُ نتج صوت مستعمل في الفصحى، أمَّا تطبيقه مع الكاف فقد نتج لنا صوتًا مفيدًا ببعض اللهجات (عبابنة، ٢٠٠٠م: ٢٠٢). والصوت الذي بين الجيم والكاف يُعَدُّ تنوعًا نطقيًا يمثل حالة من التطور التي مَرَّ بها عبر تاريخه، ونطق هذا الصوت غير مقبول؛ بسبب ضياع الصّفة الفونيمية المتمثلة التي تميزه من غيرهِ مع المخارج المتقاربة منهُ، ورُبَّما نطق في لهجة من لهجات العرب أو العامية، بيد أنَّهُ يمنع في اللّغة الفصحى، ولا يوجد لَهُ رمز كتابي، ولم يضعوا لَهُ رمزًا؛ لأنَّهم استبعدوه عن الاستعمال الفعلي.

٥. الجيم التي كالشين

وعدّها سيبويه مع الأصوات غير المستحسنة، مع أنَّ ما يقابلها وهو الشين التي كالجيم حرف مستحسن ومستعمل في اللّغة العربيّة الفصحى (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٢/٤). وقد تكلّم فيها الاستراباذي، موضحًا سبب عدم استحسانها؛ إذ قال: "وإنَّما استهجن الجيم التي كالشين؛ لأنَّها إنَّما يفعل بها ذلك إذا سكنت وبعدها دال أو تاء، نحو: اجتمعوا وأجدر، وليسَ بين الجيم والدال ولا بينهما وبين التاء تباين؛ بل هما شديدتان" (الاستراباذي، ١٩٧٥م: ٢٥٦).

وأتفق معه ابن يعيش؛ فذكر أنَّها: "تكثر في الجيم الساكنة إذا كان بعدها دال أو تاء، نحو قولهم: اجتمعوا، والأجدر: اشتمعوا، والأشدر؛ فتقرب الجيم من الشين؛ لأنَّهما من مخرج واحد إلَّا أنَّ الشين أبين وأفشى" (ابن يعيش، ٢٠٠١م: ١٢٧/١٠). وكما أوضحنا سابقًا أنَّ صوت الجيم من الأصوات المفردة التي تحولت بفعل قانون الأصوات الحنكية إلى صوت مركب يتكون من الدال والشين، وهذا الصوت الذي أصبح مركبًا وقع عليه قانون آخر يطلق عليه (قانون انحلال الصوت المركب) الذي يعمل على حلهِ أو إرجاعهِ إلى المكونات الأساسيّة التي تكون منها، وهي: الشين والدال؛ لذلك في بعض المناطق شينًا، وبعضها الآخر ينطق دالًا" (عبدالتواب، ١٩٩٠م: ١٣٤). ولعل عدم استحسان الصوت كان بسبب انحلاله وضياعه بين صوتين؛ فلا هو

جيم خالصة ولا شين، وكانَ هذا السبب في فقدان بعض الصفات الأساسيّة للصوتي، وإنَّ التنوع النطقي لهذا الصوت أنتج صوتًا مختلطًا بين الصوتين؛ إذ قد ورد نطق "شألعنك الله للبعير أي جأ" (ابن الأثير، ١٩٧٩م: ٤٣٦/٢)، شين مجهورة مختلطة، وكذلك: "حنشهُ عن الأمر وعنجهُ" (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٢/٤)؛ أي طردهُ؛ فهذهِ الأمثلة فيها ثقل في نطق الجيم المختلطة بالشين، وهو صوت متحول؛ بفعل قانون انحلال الصوت المركب، ولا يوجد لَهُ رمز كتابي يمثلهُ؛ مِمَّا كان سببًا في عدم استحسانه.

٦. الطاء التي كالتاء

وقد كان هذا الصوت في ضمن فرع الأصوات غير المستحسنة في العربيّة عند سيبويه؛ فالطاء صوت لثوي أسناني انفجاري مفخم مجهور، أَمَّا التاء فصوت لثوي أسناني مرقق انفجاري مهموس (سيبويه، ١٩٨٨م: ٤٣٢/٤)، فالفرق بينهما كبير؛ إذ يكون في صفتي التفخيم والجهر، وإنْ كانا من مخرج واحد، وقد فَسَّرَ السيرافي بقولهِ: "وأَمَّا الظاء التي كالتاء فإنَّها تسمع من أهل المشرق كثيرًا؛ لأَنَّ الطاء في أصل لغتهم معدومة؛ فإذا احتاجوا إِلى النطق بشيء فيهِ طاء تكلفوا ما ليس في لغتهم؛ فضعف نطقهم بها" (السيرافي، ٢٠٠٨م: ٣٨٩/٥). وقد حاول الاستراباذي أَنْ يضع تفسيرًا لوجود هذا الصوت؛ إذ قال فيهِ: "والطاء التي كالتاء تكون في كلام أهل المشرق كثيرًا؛ لأَنَّ الطاء في أصل لغتهم معدومة؛ فإذا احتاجوا إِلى النطق بشيء فيه طاء تكلفوا بها ما ليسَ في لغتهم؛ فنطقوا بين الطاء والتاء" (الاستراباذي، ١٩٧٥م: ٢٥٦/٣). وقد وضع ابن عصفور لَهُ مثالًا؛ إذ قال: "قال: تريد: طال، وهي لتسمع من أهل المشرق كثيرًا؛ لأَنَّ الطاء في أصل لغتهم معدومة؛ فإذا احتاجوا إِلى النطق لها صفف نطقهم بها" (ابن عصفور، ١٩٩٦م: ٤٤٢). وقد وردت أمثلة كثيرة تبين التحول في هذا الصوت، مثلًا يُقال في بعض اللهجات في: (طالب – تالب)، وفي (طريق – تريق)، وغيرها من الأمثلة التي وردت عن بعض البيئات، ولو رجعنا إِلى السبب الذي جعل سيبويه يعدَّها من الأصوات غير المستحسنة هي قضية الصفات التي تحدثنا عنها سابقًا، وإِنْ كانت قد وردت مستعملة في بعض البيئات، إِلَّا أَنَّ سيبويه لم يستحسنها؛ لأَنَّ الطاء فقدت صفة مهمة من صفاتها ألا وهي صفة الإطباق، التي تميز الطاء في التاء؛ إذ لولا الإطباق لأصبحت التاء طاءً؛ فالإطباق هنا كان ملمحًا للتمييز بين أصوات المخرج الواحد، قال الدكتور تمام حَسّان: "وجه الشبه بين الطاء والتاء، فالمعروف أَنَّ التفخيم والترقيق هو أوضح ما يفرق بين الطاء والتاء...، فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها" (عمر، ٢٠٠٦م: ٥٦).

٤.الخاتمة والنتائج:

وفي نهاية البحث، آن لي أَنْ اذكر أَبرز ما توصل إليه من نتائج، وهي:

١. يتضح عن طريق دراسة الأصوات غير المستحسنة أَنَّ هناك معيارًا صوتيًا محددًا يدلّ على فصاحة الصوت، الذي يقوم على بيان المخرج ووضوح الصّفة، وَأَنْ يكون للصوت علامة تميزهُ من غيرهِ؛ حتّى لا يختلط ويضيع.

٢. أَغلب الأصوات غير المستحسنة صارت بهذا الشكل؛ بسبب الاختلاط بين الأصوات التي أدت إِلى ضياع بعض الصفات الصوتية، فضلًا عن اختلاط مخارجها؛ ما جعلها غير موافقة للقواعد الصوتية المعيارية.

٣. كان لاختلاط العرب بغيرهم من المعجم الأثر في ضياع بعض الأصوات؛ بسبب عدم التمكن من نطق بعض الأصوات؛ فتنطق مختلطة بغيرها.

٤. الأصوات غير المستحسنة مع شذوذها، وأَنَّها غير مرغوبة في الفصحى، إِلَّا أَنَّها تدلّ على مرونة اللّغة العربيّة، واتساع لهجاتها، ولا بُدّ من أَنْ يكون هناك قانون معياري صارم وقواعد صوتية ولغوية تحدد مدى قبول هذهِ الأصوات أو رفضها.

٥. الأصوات غير المستحسنة لا يمكن معرفتها وإدراكها إِلَّا عن طريق السماع والمشافهة؛ لأَنَّ وصفها بالكتابة لا يوضح حقيقتها النطقية.

٦. توصل البحث إِلى أَنَّ عدد أصوات العربيّة قد يزيد على ما حددهُ سيبويه؛ فتصل إِلى أضعاف مضاعفة، بيد أَنَّ هذهِ الأصوات لا توجد لها صورة كتابية؛ بسبب اختلاطها بغيرها، وإِنَّ أَغلب هذهِ التنوعات النطقية تكون بسبب التشكيل، والتأثر، والتأثير.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، مجد الدِّين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري (١٩٧٩م): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلميّة، بيروت، د.ط.

٢. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (١٩٨٧م): **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط.

٣. الاستراباذي، رضي الدِّين محمد بن الحسن (١٩٧٥م): **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدِّين عبدالحميد، دار الكتاب العلميّة، بيروت، ط١.

٤. أنيس، إبراهيم (١٩٦١م): **الأصوات اللّغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط.

٥. بشر، كمال (١٩٩٨م): **علم اللّغة العام**، الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط.

٦. ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان (٢٠٠٠م): **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.

٧. ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان (د.ت): **الخصائص**، تحقيق: علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

٨. الحمد، غانم قدوري (٢٠٠٥م): **المدخل إلى علم أصوات العربيّة**، عمّان، د.ط.

٩. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٨٨م): **الكتاب**، تحقيق: عبدالسَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،

١٠. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله المرزبان (٢٠٠٨م): **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.

١١. عبابنة، يحيى (٢٠٠٠م): **دراسات في فقه اللّغة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط١.

١٢. عبدالتواب، رمضان (١٩٩٠م): **التطور اللّغوي**، مظاهرهُ وقوانينهُ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢.

١٣. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد الخضرمي الإشبيلي (١٩٩٦م): **الممتع الكبير في التصريف**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١.

١٤. عمر، أحمد مختار (٢٠٠٤م): **دراسة الصوت اللّغوية**، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٤.

١٥. عمر، تمام حَسّان (٢٠٠٦م): **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، ط٥.

١٦. ابن فارس، أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٩٧٢م): **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق: عبدالسَّلام هارون (ت١٤٠٨ه)، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢.

١٧. القرطبي، أبو القاسم عبدالوهاب بن محمد الأنصاريّ (٢٠٠٩م): **الموضح في التدريس**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط٢.

١٨. ابن يعيش، يعيش بن علي (٢٠٠١م): **شرح المفصل للزمخشري**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.

References

1. Ababneh, Yahya (2000): Studies in the Jurisprudence of Language, Dar al-Shuruq for Publishing and Distribution, Jordan, 1st ed.
2. Abd al-Tawwab, Ramadan (1990): Linguistic Development: Its Manifestations and Laws, Al-Khanji Library, Cairo, 2nd ed.
3. Al-Astarabadi, Radi al-Din Muhammad ibn al-Hasan (1975): Sharh Shafiyah Ibn al-Hajib, edited by Muhammad Nur al-Hasan, Muhammad al-Zafzaf, and Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Kitab al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.
4. Al-Hamd, Ghanim Qaddouri (2005): An Introduction to the Science of Arabic Phonetics, Amman, n.d.
5. Al-Qurtubi, Abu al-Qasim Abd al-Wahhab ibn Muhammad al-Ansari (2009): Al-Muwaddih fi al-Tadris, edited by Ghanim Qaddouri al-Hamd, 2nd edition.
6. Al-Sirafi, Abu Saeed al-Hasan ibn Abdullah al-Marzuban (2008): Commentary on Sibawayh's Book, edited by Ahmad Hassan Mahdali and Ali Sayyid Ali, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed.
7. Anis, Ibrahim (1961): Al-Aswat al-Lughawiyyah, Maktabat al-Anglo-Misriyyah, Cairo, n.d.
8. Bishr, Kamal (1998): 'Ilm al-Lugha al-'Aam, al-Aswat, Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, n.d.
9. Ibn al-Athir, Majd al-Din Abu al-Sa'adat al-Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaybani al-Jazari (1979): Al-

Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar, Al-Maktabah al-'Ilmiyyah, Beirut, n.d.

10. Ibn Asfur, Ali ibn Mu'min ibn Muhammad al-Khadrami al-Ishbili (1996): Al-Mumti' al-Kabir fi al-Tasrif (The Great Book on Morphology), Library of Lebanon, Beirut, 1st ed.
11. Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan al-Azdi (1987): Jamharat al-Lughah, edited by Ramzi Munir Baalbaki, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, n.d.
12. Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya (1972): Mu'jam Maqayis al-Lughah (Dictionary of Language Standards), edited by Abd al-Salam Harun (d. 1408 AH), Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Printing House, 2nd ed.
13. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman (2000): The Secret of the Art of Parsing, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed.
14. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman (n.d.): The Characteristics, edited by Ali al-Najjar, Egyptian General Book Organization, 4th ed.
15. Ibn Ya'ish, Ya'ish ibn Ali (2001): Sharh al-Mufassal li al-Zamakhshari, edited by Emil Badi' Ya'qub, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1st edition.
16. Omar, Ahmad Mukhtar (2004): A Linguistic Study of Phonetics, Alam al-Kutub for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 4th ed.
17. Omar, Tamam Hassan (2006): The Arabic Language: Its Meaning and Structure,

Sibawayh, Amr ibn Uthman ibn Qanbar (1988): The Book, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Lib